

# «غسالة النوادر» الأيقونة المسرحية التي تنبأت بواقع تونس ومثقفها

## المثقف يتخلّى عن قناعاته ويرتمي في أحضان السلطة والشعب ينخره اليأس

منذ أيقونة المسرحيات التونسية «غسالة النوادر» لفرقة المسرح الجديد سنة 1980 والتي بثها التلفزيون التونسي مؤخرا إلى اليوم، يمكننا أن نتساءل هل تغير شيء في علاقة المثقف التونسي بالبرجوازية والسلطة في ظل سقوط القناعات؟ ألا تحكي المسرحية واقع اليوم المنيئ بالانهيار؟

محمد ناصر المولهي  
كاتب تونسي

إذا كانت مسرحية «غسالة النوادر» لفرقة المسرح الجديد تعتبر أيقونة المسرح التونسي، فإن ذلك ليس من فراغ، إنها العمل المؤسس للمسرح التونسي الحديث والمعاصر، ورغم مرور واحد وأربعين عاما على عرضها، فإنها تظل النافذة التي ننظر منها الفنانون إلى مستقبل تونس من خلال قراءة ذكية للواقع والتاريخ وتحولاته، دون شعارات مفرغة.

**المسرحية تدور حول  
جريدة ومطبعتها وما  
يحدث من دسائس  
ومؤامرات في أروقتها في  
رمزية سياسية واضحة**

تدور المسرحية حول جريدة الأخبار ومطبعتها التي تتركس نفسها في خدمة السلطة، وتمارس أشد أنواع التعسف على عمال المطبعة (الطبقة الكادحة من البسطاء) أمام صمت الصحافيين (طبقة المثقفين)، ومع احتجاج العمال والإضراب رغم تخوف آخرين على قوتهم، تغلق الجريدة ومطبعتها، ولكنها تنبعث بعد ذلك بعنوان جديد، وينقلب من كان ضدها، مثل لالا بية، إلى بوق من أبواقها.

تنجح السلطة إذن من خلال تلاعبها بالجميع مثقفين وغير مثقفين برجوازيين وبسطاء متهمدين، في تدجين من يقف ضدها أو محوهم، تلك هي اللعبة التي اتقن العمل تعريتها من خلال قصة الجريدة وصاحبها «يوسف» الذي يخادع الجميع.

الرمزيات كثيرة في العمل منذ بدايته بحالة المطر الخريفي التي قلبت البلاد رأسا على عقب، في رمزية الثورة، إلى رمزية الأسماء والحوارات، لآلة بية الاسم الأرستقراطي، يوسف صاحب المؤسسة ورمز لرأس السلطة، صالح رئيس العمال المندفع والمتخاذل في أن واحد، السائق العروسي الذي يمثل الشعب البسيط المندفع والرافض والخادم مقتنعا بالسلطة الممارسة عليه لتحصيل قوته والذي لا يتخلف حتى عن تعنيف العمال المحتجين لحماية لبعله.

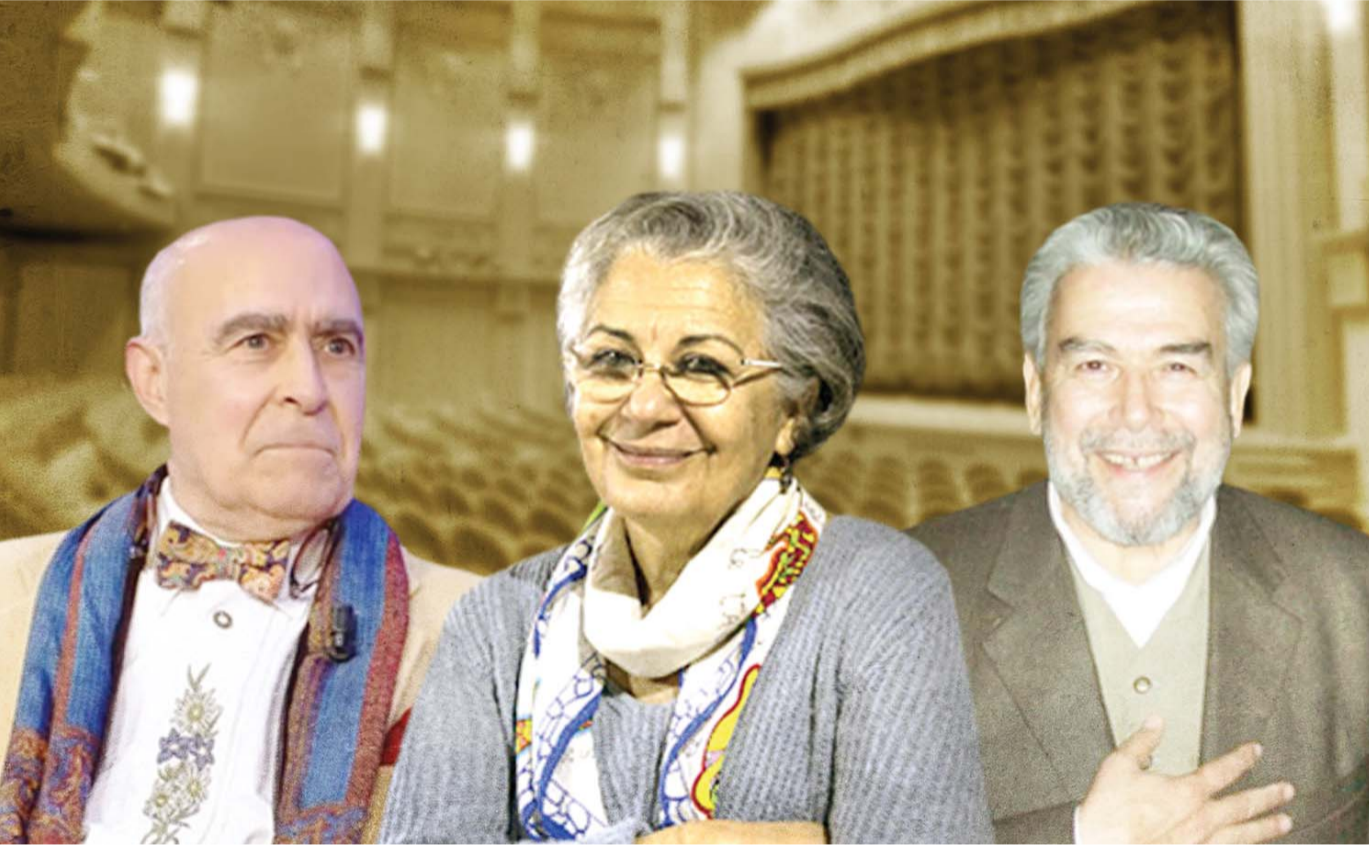
اللعبة الجوهرية كانت بين لالا بية وسائقها العروسي المتزوج والأب البعيد عن عائلته، حيث حاولت إغواءه والتقرب منه بشتى الطرق حتى عبر إذلاله، حرضته على التمرد على يوسف، وهو زوج أمها، وحاولت كمنقصة برجوازية أن تقف إلى جانب البسطاء في المطر الخريفي الذي أغرق البلاد، وأن تكشف عن الفساد وتأخذ شهادات مواطنين لكشف الحقائق، فيما تصطدم برئيس تحرير الجريدة ومديرها، ولا يتشعر بتقريبها، تستمر لعبتها مع العروسي، إلى أن تخير الابتعاد حين يعلق هو في شبكها. الصورة إذن هي

صورة مثقف يغوي البسطاء بالثورة، وما أن يتوروا حتى يفصل عنهم ويرتمي في أحضان السلطة القديمة الجديدة.

بخسر العروسي كل شيء، وظيفته وقلبه وروحه، بعد إغوائه من طرف لالا بية التي تتزوج في الأخير من قريبها مدير الجريدة وتصبح إحدى الأذرع الرئيسية ليوسف في النسخة الجديدة من المؤسسة الإعلامية، إنها خسارة الشعب أمام إغواء الثورة التي يطلق قتلها برجوازيون صغار وينخرط فيها العمال والبسطاء، لتتقلب ضدهم وتاكلهم.

### المثقفون متهمون

ما قدمته «غسالة النوادر» يوحي بما تعيشه تونس اليوم، ألم تتقلب الثورة على شعبها حتى بات يلعبها



فاضل الجزيري وجلييلة بكار ومحمد إدريس.. ثلاثة ممثلين يتنبأون بالمستقبل

إليه الأمور، وهو نفسه الحقيقة التي تتجسد في تونس منذ سنة 2011 إلى اليوم. أعادت السلطة في تونس إنتاج نفسها في ثوب أسوأ مع تغلغل الحركات الدينية الأصولية، قامت بالحفاظ على قوت الخائفين ودبرت قوتا لمن يمكن أن يفوروا من يساريين، وبالتالي أخصدت أي أمل في حراك ثوري جديد، أما الشعب البسيط فبقي يدور هائما في يأسه بعد أن ترك وحيدا في الشوارع شأنه شأن «عروسي» غسالة النوادر.

المطر الخريفي الذي قلب البلاد وأغرقها وأفاض مزاربيها وبالوعاتها بقانوناتها، وأسقط البنين المحتية الهشة والأيلة للسقوط، هو نفسه الحراك الثوري الذي تنبأ به عناصر المسرح الجديد، والذي حدث بالفعل، كما تنبأوا بمآلاته، ليس سرا وعلنا؛ ألم يأخذ البرجوازيون الصغار من النخب دعاة الثورة أماكنهم في السلطة الجديدة - القديمة؛ ومن دفع الثمن في النهاية؛ إنه الشعب الذي تجرأ ونزع ثوب الطاعة وتحدى الإذلال، إنه العروسي.

ربما يصح هنا كلام المفكر الفرنسي إيميل سيوران على الرغم من سواديته على السلطة لتتحول إلى ما هو عكس الإختمار والولاية فتكف عن كونها ثورة وتقلد بل عليها أن تقلد ملامح النظام الذي قلبته وكذلك أجهزته وطريقة عمله.

إغلاق الجريدة وفقدان العمال لوظائفهم، تخلي المثقفين عن البسطاء وارتماؤهم في أحضان البرجوازية حفاظا على مكاسبهم، فقدان العروسي البسيط لروحه وتحوله إلى مصدر خوف هائم في يأسه، هذا ما الت

## الفوتوغراف الجزائري يوسف لحرش:

### فن التصوير أداة للحفاظ على التراث الثقافي وترويجه

وخلال مسيرته المهنية التي ميزتها أيضا إقامته سبعة معارض شخصية عرض خلالها أعماله، تمكن المصور يوسف لحرش من تحقيق مراتب مشرفة ونيل جوائز في مختلف المحافل. ويتعلق الأمر بالمركز الأول خلال الصالون الوطني للصورة الفوتوغرافية المنظم بولاية الوادي وعنابة، والمرتبة الثالثة في الصالون الجهوي، وتصنيفه من بين 100 أحسن مصور في الصالون العربي الذي نظم بالأردن سنة 2014.

وتركز مؤسسات الحفاظ على التراث العربية اليوم على الصور المأخوذة من «الداخل إلى الخارج» بدلا من تلك المأخوذة من قبل المصورين الأوروبيين الزائرين للمنطقة. وربما في هذا تقديم لوجه آخر لعناصر التراث الثقافي المادي واللامادي يكون أكثر التصاقا ودراية بعناصر هذا التراث. ويعتبر تصوير التراث الثقافي جزءا ضروريا من الحفاظ على المدى الطويل على التراث الثقافي، حيث أن الظروف المادية للأشياء ستتغير بمرور الوقت، وأن التصوير بمثابة وسيلة لتوثيق التراث وتمثله في لحظة من عمر العنصر، وبالإضافة إلى الاهتمامات المتعلقة بحفظ هذا التراث وحمايته من النسيان، فإن التصوير يمكن أن يعمل أيضا على تعزيز البحث ودراسة التراث الثقافي.

الوسيلة الفعالة والتي لا يمكن إغفالها في عملية الترويج أو التسويق السياحي من خلال تحسين نظرة الجمهور إلى الأماكن السياحية ببلادنا".

والجدير بالذكر أن لحرش كان قد استفاد من سلسلة دورات تكوينية سمحت له بتطوير قدراته ومعارفه في فن التصوير الفوتوغرافي، فضلا عن تقنيات المونتاج بالنسبة إلى الصورة والفيديو، والرسومات بالكمبيوتر وتصميم المواقع الإلكترونية وغيرها.

**يجب تشجيع المحترفين  
والهواة على الاهتمام  
بالمحافظة على التراث  
الثقافي من خلال ممارستهم  
لفن التصوير**

كما ساهم حضوره في مختلف المواعيد الفنية والثقافية على الصعيد الوطني والدولي، على غرار الطبعة الـ17 من الصالون الوطني للصورة الفوتوغرافية، بالإضافة إلى سبع مشاركات في تظاهرات مماثلة دولية، في تطوير إمكاناته وتعميق معرفته ومؤهلاته الإبداعية أكثر في هذا المجال الفني.

في مجال التصوير الفوتوغرافي منذ 1989، قبل أن يقتحم عالم الاحتراف منذ بداية الألفية الجديدة. وفي هذا الصدد عرض لحرش الذي يشغل حاليا منصب مستشار ومكون على مستوى ديوان مؤسسات الشباب بورقلة مختلف أعماله الفنية الإبداعية التي يتمحور أغلبها حول جمال الطبيعة ومظاهر الحياة الاجتماعية، والفن والصناعة التقليدية التي تميز ولاية ورقلة، إلى جانب مجموعة من الصور التي التقطها خلال جولاته بمناطق الجنوب الكبير على غرار منطقة طاسيلي ناچر.

وأبرز ذات المصور المحترف بالمناسبة أهمية تكوين الشباب الذين يستهويهم هذا المجال من أجل صقل مواهبهم وإطلاعهم على المستجدات في ميدان التصوير الفوتوغرافي، مؤكدا على ضرورة تشجيع المصورين الهواة والمحترفين على الاهتمام أكثر بالمحافظة على التراث الثقافي المادي واللامادي خلال ممارستهم لفن التصوير في حياتهم اليومية. وأضاف أن «فن التصوير من شأنه أن يؤدي دورا كبيرا في تمييز منتجات الصناعة التقليدية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على المقومات السياحية المتنوعة التي تزخر بها الجزائر لاسيما في الجنوب». ويرى أن «الصورة تعد اليوم بمثابة

وبدا هذا المصور الذي شارك مؤخرا في تظاهرة ثقافية حول التراث الثقافي احتضنت فعالياتها المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية «محمد التيجاني» بولاية ورقلة، مساره كهوا

التراث الثقافي لجنوب الوطن، وإلى خدمة أهم المناطق الجزائرية وخاصة منها الصحراوية كوجهة سياحية عبر التعريف بها وبجمالياتها الطبيعية أو المعمارية وغيرها.

الجزائر - يسعى المصور الجزائري المحترف يوسف لحرش منذ ما يفوق العشرين سنة من خلال الصور التي لتقطها عدسة كاميراته إلى وضع موهبته في فن التصوير للمحافظة على



ثقافة عريقة تحميها الكاميرا من النسيان